مؤلفاته

بقلم منوشهر مؤدب زاده
صاحب مجله نما الايرانية

١ — مؤلفاته الفارسية

(١) كتابه المسمى (دانشنامه أو حكمت علائي) وقد سمّاه بعضهم (دانش مايه) وظنه جزءاً من الكتاب المسمّى (حكمت علائي) والاصح أنهما اسمان لكتاب واحد والاختلاف الذي أوقع البعض في الخطأ هو من انتساب الكتاب الى علاء الدولة كاكويه المتقدم ذكره والاسم الذي سمّي به الكتاب . وقد أراد الشيخ بتأليف هذا الكتاب أن يجعل جميع الاجزاء والمباحث الفلسفية بالفارسية ولكنهُ لم يؤلف منهُ سوى قسم المنطق والالهيات والطبيعيات ويُعَدُّ هذا الكتاب من أحسن تآليفه ولا يختلف كثيراً عن كتاب النجاة المؤلف بالعربية . وكان أهم ما يومىء اليه الشيخ في هذا الكتاب محاولة جعل المصطلحات الفلسفية العربية بالفارسية وبذلك أصبح الكتاب أحد المنابع اللغوية الاحد تلامذة الشيخ المسمّى (بَهْمَنْيَار) شرح على هذا الكتاب وقد ضمّنهُ الاعتراضات التي كانوا اوردوها على استاذه وقد أجاب هو عليها وسمّى كتابه هذا « بالتحصيل » . ولدانشنامه انسجام وفصاحة معجبة بالقياس الى الفارسية المستعملة في ذلك العصر وأضف الى سلاسة البيان انهُ أول كتاب في الفلسفة كتب باللغة الفارسية ولكن اذا قسنا هذا الكتاب بالكتب الفارسية الاخرى التي كتبت بالفارسية بعد ذلك ككتب افضل الدين الكاشاني مثلاً وجدناه يقلُّ عنها في الانسجام والسبك

وقد ألف الشيخ كتابه هذا املاء الدولة بن كاكويه وقد اثنى في المقدمة على حسن اصطناعه اياه واشفاقه عليه وشكره لهُ ما اولاه إياه وقال في حقه : (اني وجدت كل آمالي عنده). وقد ظنّ بعض الناس ان كتاب « دانشنامه » هو آخر كتاب ألّفهُ الشيخ لانهُ لم يمكّن من إتمام تأليفه فأتمهُ أبو عبيد الجوزجاني وكتب مبحث الرياضيات منهُ وليس هذا بالدليل القاطع اذ يمكن ان يشغل المؤلف مشاغل عن اتمام ما يؤلفهُ ويوقفهُ ردحاً من الزمن وفضلاً عن هذا فان هذا القول

يخالف ما قاله المؤرخون حيث انهم اتفقوا على ان آخر تأليف للشيخ هو كتاب الاشارات

(ب) الرسالة المسماة بالمعراجية وقد ألف الشيخ هذه الرسالة لابي جعفر بن كاكويه وهي تشتمل على تأويل للاصطلاحات الشرعية وتفسيرها ومعنى ما ورد منها كروح القدس والوحي وكلام الله والنبوة والرسالة والشريعة . وبعد ذكره القوى الانسانية في المقدمة وبيانه أن وجهة الحركة تجب ان تكون متناسبة مع المتحرك والحركة يبرهن في النتيجة على ان المراد بالمعراج هو معراج الروح وبالعلو علو شرفي ويؤول مسألة المعراج على طريقة الحكماء . والظاهر ان جلال الدين الرومي قد استفاد من هذه الرسالة حيث يقول بالفارسية :

گفت پیغمبر که معراج مرا نیست بر معراج یونس اجتبا
آن مَا والاوآن أوبشیب زآنکه قرب حق برون أست از حسیب
نی چو معراج زمینی تاسما بل چو معراج جنینی تا نهی

والمعنى : قال النبي ليس لمعراجي فضل على معراج يونس (النبي) عرجت الى فوق وعرج الى تحت لان قرب الله خارج عمَّا تصوره . ليس هذا كالعروج من الارض الى السماء بل هو كعروج الجنين الى النهى والعقل . وقد أوصى الشيخ في مقدمة هذا الكتاب أن لا يبوحوا بهذه الرموز والاسرار لأحد . وهو يقول « لم أكن من هذه الافكار قبل اتصالي بمجلس علاء الدولة في شيء خوفاً على نفسي واحترازاً من الخطر »

(ج) رسالة النبوة وهي رسالة صغيرة في معنى النبوة والوحي والالهام وتأويلها وهي بالفارسية وأكثرها يطابق مقدمات رسالته المعراجية ولا تختلف عباراتها عن ذلك اختلافاً كليًّا

(د) الرسالة النبضية وقد ألفها لعضد الدين علاء الدولة كاكويه وقد بيَّن فيها أنواع النبض وشرح أقسامه

الكتب العربية [1]

(ا) كتاب الشفاء — وهو كتاب كبير يشتمل على جميع علوم الفلسفة من المنطق والرياضيات والطبيعيات والالهيات ويعدُّ من أهم التآليف الاسلامية وقد شرع أبو علي بتأليفه كما يقول أبو عبيد في همذان وكان ذلك اجابةً لرجاء ابي عبيد فكتب الشيخ ٢٠ صحيفة في مبحث الطبيعيات ثم شغلتهُ الامور الديوانية والحوادث عن إتمام تأليفه . ولما اعتزل وزارة شمس الدولة عاد على بدء وألَّف كتاب الالهيات والطبيعيات سوى النبات والحيوان في ٢٠ يوماً ولم يراجع

(١) ولا عجب اذا خلف لنا أبو علي وهو من أعاظم علماء ايران وأكابرهم كتب كثيرة وآثاراً خالدة بالعربية لان البحث والفرس يكشفان لك أن غير من علماء الامة الايرانية أيضا قد الفوا وصنفوا كتباً ورسائل في جميع الفنون والعلوم بالعربية وقد خدموا هذه اللغة أية خدمة وأبقوا لها أثراً فقد قلدتها آثارهم بقلائد لا تنفصم وأبقت لها عزاً ومجداً لا يندثران مدى الدهر

أي كتاب . ثم شرع في تأليف منطق الشفاء ولكن طالت مدة تأليفه ولم يفرغ منهُ الاَّ في إصفهان وكذلك أتم بحث النبات والحيوان في تلك المدينة

ويزعم أبو عبيد ان عمر الشيخ كان في ذلك الوقت ٤٠ عاماً وليس هذا بصحيح لانهُ كما قدمنا فان كان عمر أبي علي في سنة ٤٠٤ هجرية ٣٢ سنة فيرن صحَّ ما يقول وجب أن يكون الفراغ من تأليف الكتاب سنة ٤١٢ اي ان يكون الشيخ في هذا التاريخ في مدينة إصفهان ولكن لا شك انهُ كان عند ذلك في همذان وكان سفره الى اصفهان بعد هذا التاريخ فلا يصح والحالة هذه ان نجعل سنة ٤١٢ السنة التي أتمَّ فيها الشيخ كتابه . وكان الشيخ قد اختصر الفنون الرياضية قبل تأليفه للشفاء ثم ألحقها بعد تأليفه به . وكان المقصود من تأليفه هو تقرير آراء الفلاسفة المشائين وتفسير معتقدهم ولذلك نراه قد اقتصر على الاخذ بترجمة كتب أرسطاطاليس وكتبها في كتاب الشفاء بعد ان هذَّبها ونقحها وأصلحها الى حدٍّ ما ولكنهُ مع ذلك لم يغفل عن تدوين آرائه وتجاربه في المنطق والطبيعيات وكذلك دوَّن قسم الموسيقى من الشفاء طبقاً لآرائه التي حصل عليها بعد فحص دقيق وتجارب صرف فيها ردحاً من الزمن

وكان أبو علي يؤلف شرحاً على الشفاء سمَّاه باللواحق وكان يؤرخ ما يؤلفهُ في كل سنة والظاهر انهُ أكبر مؤلف له شرح فيه الآراء والاقوال الفلسفية وأطنب في هذا الشرح ولم يثبت انهُ فرغ من اتمامه وانهُ حقًّا أن واحداً من العلماء لم يرَ هذا الكتاب ولا نقل عنه

ويظهر من مقدمته على منطق الشفاء ان الغرض من تأليف الكتاب هو جمع خلاصة من أصول علوم الاقدمين وذكر ما أورد على كل من هذه الاصول وايضاح ما أشكل منها وان يدوِّن الفروع واصولها مع الايجاز في الالفاظ وعدم تكرار المطالب وان يدوِّن ما صحَّ بطلانه من آراء المتقدمين وعقائدهم

والظاهر مما يقوله أبو علي ان كتابه هذا قد حوى كل ما هو مدوَّن في كتب الاقدمين غير انهُ قد غيَّر مواضع الاقوال وجعل كلاًّ منها في المحل الذي يراه يليق به . وقد حذف مطالب فلسفية كان الاقدمون يدوِّنونها في المبادىء المنطقية وقال انهُ دوَّن المنطق أولاً ثم الطبيعيات ثم الرياضيات ثم شرع في تدوين علم الالهيات بعد ذلك ولكن أبو عبيد — كما أشرنا سالفاً — يقول أن الشيخ ابتدأ بتأليف الطبيعيات واذا صحَّ ما قال ابو عبيد يجب ان نحمل قول الشيخ على التدوين لا الجمع والتأليف فاذا حملناه على هذا لم يكن بينه وبين أبي عبيد اختلاف في القول

وقد وضع المتأخرون شروحاً على الهيات الشفاء ومنها حاشية آقا حسين الخونساري وملاَّ (الشيخ) أولياء وملاَّ سليمان وتعليقات صدر الدين الشيرازي والاخيرة من أهم الحواشي على الهيات الشفاء . ولا نعرف حاشية للمتأخرين على طبيعيات الشفاء اللهم الاَّ حاشية وجيزة وضعها آقا جمال

الخونساري على القسم الاول منهُ أي على كتاب السماع الطبيعي ولم يشرح باقي الكتاب ولم يوضح ذلك وليس لهُ حاشية . والظاهر ان السبب في ذلك هو عدم اهتمامهم بعلم النباتات والحيوان والعلوم الطبيعية كلية

وكتاب طبيعيات الشفاء هو المصدر الوحيد للعلماء الطبيعيين في الاسلام وربما لم تتجاوز الحقيقة اذا قلنا انهم لم يزيدوا عليهِ شيئاً ولم تعدَّ مباحثهم وتحقيقاتهم كتاب السماع الطبيعي ولم يضيفوا الى كائنات الجو والسماء والعالم والنبات والحيوان اي شيء بل اسقطوها من كتبهم

ولم تشتهر وتظهر الهيآت الشفاء كما ظهرت طبيعياته ومنطقه ولم يكن لها ذلك النفوذ وذلك لظهور الفلسفة الاشراقية والحكمة المتعالية . وكتاب منطق الشفاء أسهب منطق اسلامي وقد أقبل عليهِ الفلاسفة واعتمدوا عليهِ ولم يشرح مباحث الصناعات الخمس ولم يستوف البحث فيها كتابٌ مثله . وقد اقتبس المتأخرون مطالبهم من هذا الكتاب أو ترجموها عنهُ وكذلك مباحثه الاخرى فان المتأخرين وان كانوا قد أطنبوا في شرح مباحث القضايا والكليات الخمس وتجاوزوا الحد ولكنهم مع ذلك لم يصلوا الى ما وصل اليهِ هذا الكتاب ولم يبلغوا الدرس ولا الغاية فان كل ما قالوه لا يتجاوز حواشي وتفاصيل وضعت على جوانب المطلب والاصل . وقد استفاد الخواجه نصير الدين الطوسي من كتاب منطق الشفاء في كتابهِ المسمى بأساس الاقتباس الذي ألفهُ بالفارسية بل يمكن ان يقال عنهُ انهُ ترجمة لكتاب الشفاء

(ب) كتاب النجاة — كتاب متوسط صغير الحجم يشتمل على مباحث في المنطق والطبيعيات والالهيات وأهم مباحثهِ في تقريره عقائد الشائين وآرائهم على وجه الاختصار ولما لم يكن بينهُ وبين كتب أبي علي الاخرى خصوصاً الشفاء فرق يذكر فقد ظن بعض المعاصرين ان كتاب النجاة مختصر لكتاب الشفاء وتبعهم على هذا جمٌّ من المعاصرين ولكن الامر على غير ما ظنوا فان تأليف منطق النجاة متقدم على تأليف كتاب الشفاء لان أبا علي ألفهُ في جرجان وسماه بالمختصر الاوسط وكذلك سائر مباحثه فانها لا تتفق مع الشفاء من حيث الترتيب

وقد كان يحتوي كتاب النجاة على قسم آخر في تقرير أصول العلم الرياضي ولكنهُ فقد وضاع . وأما منطق النجاة فهو على جانب عظيم من حسن العبارة وسلاستها وسهولة بيانها ولذلك يعدُّ من معجزات ابي علي

(ج) كتاب الاشارات والتنبيهات — وهو كتاب صغير في فن المنطق والعلم الطبيعي والالهي ويظهر انه آخر تأليف لابن سينا وهو يحتوي على خلاصة آرائه ومعتقداته وقد اوصى في آخر الكتاب بأن لا يراه ويطلع عليهِ إلا من كان أهلاً وقد نجلت في هذا الكتاب روح ابي علي العرفانية وقد تكلم في آخر كتاب الالهيات عن المقامات والدرجات العرفانية وامتاز جمله

وعباراته عن سائر كتب ابي علي لان الشيخ قد ألبسها صبغة ادبية لم يراعها في سائر تآليفه. ونرى الانفة تتجلى من خلال عباراتها (فكأن الشيخ قد خلع عليها ثوباً من كبريائه وانانيته) وقد استخفّ ابو علي في كتابه هذا ببعض رؤساء المشائين واحتقرهم ولاجل صعوبة مطالبه واندماجها ولانهُ تأليف اظهرتهُ قريحة هذا الرجل النابغة العظيم فقد أقبل عليه العلماء والفضلاء والفلاسفة من المتأخرين وصار مطمح انظارهم فوضعوا عليه شروحاً كثيرة بالفارسية والعربية وترجموه الى الفارسية ايضاً. ومن الذين شرحوه بالفارسية الامام شهاب الدين السهروردي وتوجد الآن ترجمة فارسية لكتاب الاشارات تنسب الى الانوري (الشاعر الفارسي الذي عاش معاصراً للسلطان سنجر السلجوقي المتوفى سنة ٥٨٣) ولكن لم يحصل ما يثبت ذلك الى الآن . ومن الذين شرحوا الاشارات بالعربية الامام فخر الدين الرازي وقد عارض آراء أبي علي وعنده انهُ ردٌّ على اكثرها . وشرح الخواجه نصير الدين الاشارات. وكان متحزباً لابي علي ومشايعاً لهُ فردَّ اكثر آراء الامام الرازي وقد أجاد في النقد والرد وقام بهذه المهمة خير قيام . ثم بذل كل وسعهِ في تقرير آراء ابي علي وبيان عقائده ولم يشكل عليه شيء منها ولم يعترض على أية مسألة من مسائله الا في مسألة العلم حيث يقول : « ولما وصل بي البحث الى هنا لم أتمالك من المخالفة » وشرح نصير الدين على الاشارات أشهر من شرح الامام الرازي وقد عرفهُ طالبو العلم وأخذوا في دراسته

(د) كتاب الحكمة المشرقية او حكمة المشرقيين — هذا الكتاب الذي ورد ذكره في كتب ابي علي كان يشتمل على نخبة آراء أبي علي ومعتقداته الشخصية وقد فقد على ما يظهر ولم يبق منه سوى مباحث في المنطق قد طبعت . وكان مراد ابي علي من تأليفه هذا الكتاب ان يدون المطالب الفلسفية حالة كونهِ خلواً من كل تعصب وتحيز لارسطاطاليس واتباعه . ومع ان الشيخ بعد الفراغ من كتاب الشفاء ورواية كلام ارسطاطاليس وما ترجاه من الناس حيث يقول « من أمكنهُ ان يضيف أصلاً على المنطق فليضفهُ ولا يتوقف عن إلحاقه بهذا الفن » أطنب في مدح أرسطاطاليس وغالى في التحزب له اذ قال : « ولم يضف أحد حرفاً واحداً الى اصول ارسطاطاليس ولم يتمكن من رد قواعده ». ثم نراه يعترف في كتابه هذا باضافات الى المنطق ويصرح برأيه في أول الكتاب

يختلف كتاب منطق المشرقيين الذي هو في متناولنا اليوم اختلافاً عظيماً عن كتب ابي علي الاخرى ويتجلى هذ الفرق بصورة عظيمة في مباحث القضايا حيث اظهر الشيخ فيها آراءه وحقق فيها أدق تحقيق وكذلك نراه قد اسهب في مباحث الحد والتعريف وذكر قضايا هي اقرب الى الحقيقة وأكثر تشابهاً لمطالب هذا العصر وهي لا توجد في اي كتاب من كتب المنطق

(ه) كتاب القانون — وهو اعظم كتاب في الطب الاسلامي ويشتمل على خمسة اقسام :

القسم الاول في كليات الطب والصحة وقسم من علم التشريح والعلامات الكلية للامراض والقسم الثاني يبحث في تركيب الادوية ويسمّى بأقرابادين. والقسم الثالث يختص بالامراض التي يمكن ان يصاب بها جميع الاعضاء. والقسم الرابع في امراض تخص كل عضو بنفسه. والقسم الخامس في مفردات الادوية . وقد حصل الشيخ على تجارب كتبها في مذكراته ولكن — كما ذكرنا سالفاً — وقد ضاع اكثر هذه التجارب ولو بقيت لاستفاد منها الطب . ويمتاز كتاب القانون من الوجهة العلمية على سائر كتب الطب بأن ابا علي يحاول فيه ان يؤدي الالفاظ الطبية بالطرق المنطقية ويجعل التقاسيم منقطبة ايضاً ولذلك صار كتاب القانون من اكثر الكتب اشكالاً فأقبل عليه العلماء والفضلاء يتفهمونهُ ويشرحون ما اشكل منهُ وهكذا ألفوا للقانون شروحاً كثيرة . ولم يجد كل العلماء والفضلاء انفسهم اهلاً لتدريس القانون فلم يترشحوا لقراءته عليهم ولم يحضر طالبو العلم على كل احد ايضاً . ومع هذا كله فان اكثر مدرسيه لم يمكنهم تدريس كل القانون على الاكثر . وممن درس القانون قطب الدين الشيرازي فقد حضره جملة من الاساتذة ومع ذلك كله لم يتمكن من فهم مطالبه كلها وايضاح ما أشكل منها فقصد نصير الدين الطوسي ولكنهُ على ما يقول لم يكن للطوسي تلك القدرة على تدريس القانون لانهُ لم يحترف الطب ولم يعالج صناعته . واخيراً سافر قطب الدين هذا الى مصر وزار هناك احد الاطباء المصريين وكان رجلاً فاضلاً عالماً بالطب وحصل ايضاً على شروح للقانون وبعد هذا كله تمكن من فهم مطالب هذا الكتاب وحل ما اشكل عليه من المسائل العويصة

وبعد هذا الجهد والتعب العظيم وضع على كليات القانون شرحاً هو أهم واعظم شرح لهذا الكتاب . وكتب غيره لكتاب شروحاً مفصلة ومنها شرح ابن قف المسيحي وشرح مُلاَّ علي الجيلاني وأول من شرحهُ الايلاقي ثم الامام الرازي . ويرى ان اصول القانون لا تختلف كثيراً عن اصول المطالب في كتاب كامل الصناعة . والظاهر ان ابا علي كان يستفيد من كامل الصناعة حينما كان يؤلف كتاب القانون

(و) كتاب التعليقات — وهو كتاب يطابق اسمه مسماهُ فانه يحتوي على جميع المطالب الفلسفية وقد كتبها الشيخ تعليقاً

(ز) كتاب المبدأ والمعاد — كتبه لابي احمد محمد بن ابراهيم الفارسي وهو يشتمل على ثمرة علمين (علم ما بعد الطبيعة وعلم ما في الطبيعة) وكان غرضه من تأليف هذا الكتاب كما يقول ان يكشف الغطاء عما اخفاه المتأولون ويوضح ما اشكل منه ويسهب فيما اوجزوا . والكتاب يحتوي على المباحث الطبيعية والالهيات كلها ولكن بصورة مختصرة . ويمتاز هذا الكتاب بحسن

التصير الذي قلما يوجد مثله في اكثر تآليف الشيخ . وقد الف الشيخ لابي الحسين السهيلي كتاباً آخر سماه بهذا الاسم غير أنا لم نعثر عليه حتى الآن

(ج) رسالة القريض الالهي — وموضوع هذه الرسالة التحقيق في مبدإ الوحي والاعجاز والسحر وأنواعه الاخرى وقد ميز في هذه الرسالة بين الوحي والاعجاز والسحر . وقد ذكر نبذة من تأثير الروح بأرواح اخرى وأجسام خارجة عنها . ويعتقد ان الانسان بعد تقوية كمال الروح والارادة يمكنهُ ان يكون منبعاً لتأثيرات خارجية كثيرة

(ط) رسالة سلامان وابسال — وقد أشار اليها في كتاب الاشارات . وقد روى نصير الدين حكايتها بطرق كثيرة ونظمها الجامي (الشاعر الفارسي الذي عاش في القرن التاسع وتوفي سنة ٨٩٨)

(ي) رسالة الطير — وهي تبحث في كمال النفس وعود الارواح الجزئية الى النفس الكلية وقد استفاد منها العطار في رسالة سمّاها (منطق الطير) — والعطار شاعر فارسي عاش في القرن السادس وقتلهُ التتر في اوائل القرن السابع

(يا) رسالة حي بن يقظان — وقد قرأه بعضهم بالطاء المهملة (يقطان) ويظهر لنا ان كلمة يقظان (بالظاء) المعجمة هي الاصح

(يب) كتاب عيون الحكمة — وقد شرحهُ الامام الفخر الرازي ويظهر لنا ان الانوري الشاعر — وقد مرَّ ذكره — يقول فيه : —

« كتابي است مشتمل بخط من خادم چو أشك وچهرهٔ من جلدش زدرون وبرون »
« سه گونه در او كرده بو علي تقرير . . . . . »

والمعنى : كتابة مشتملة كتبها السد ودفتاها من الظاهر والباطن كدمعي ووجنتي وقد ألف فيها أبو علي ثلاثة من العلوم

وقد نسبوا الى الشيخ أبي علي أشعاراً فارسية وعربية والظاهر أن بعضها منحول . وله القصيدة البيئية في النفس التي مطلعها

هبطت اليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تمنّز وتمنّع [1]

وقد ألّف أبو علي كتاباً في اللغة ولكنهُ لم يصل الينا وقد ضاع قبل الاستنساخ . وكانت له رسائل بالفارسية والعربية ولا يزال بعضها باقياً وله غير ذلك كتب كثيرة أعرضنا عن ذكرها خوف الإطالة . آه

١) راجع في صفحة ٣٠٦ من هذا العدد من المقتطف رأي جبران خليل جبران في هذه القصيدة